الإستراتجية العسكرية عند عبد المؤمن بن علي الموحدي

أ. معروف حفصة جامعة حسيبة بن بوعلي ـ الشلف ـ الجزائر

I ـ إستراتيجية عبد المؤمن وأبعادها السياسية

الإستراتيجية بمفهومها العصري، هي مجموعة ترتيبات وتدابير، يتوجب على القائد اتخاذها، ليكون استراتجيا وسياسيا في الوقت ذاته. ويرى البعض أن وظيفة الفكر تزداد عند استخدام العنف والحرب[1]" ويعرف الخبراء العسكريون الإستراتجية أنها فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق أهداف السياسة

ومن خلال هذا التعريف البسيط للإستراتجية، ندرك الارتباط الوثيق بينها وبين السياسة نظرا لكون الأولى تستهدف تحقيق أهداف الثانية[2]، وإذا كانت السياسة تمثل الذكاء فإن الحرب هي وسيلتها[3].

وفي الوقت الذي لم تكن الإستراتجية معروفة باسمها الحديث نجد أن عبد المؤمن، قد عبر في مواقف كثيرة عن إدراكه العميق لها حيث جعلها دائما مرتبطة بالسياسة، وتدور معها في حقل

مشترك ويتجلى ذلك في قضيتين هما : جلب القبائل العربية وتغيير طبقات الجيش الموحدي.

أ : جلبه القبائل العربية

قام عبد المؤمن باستجلاب القبائل العربية إلى المغرب الأقصى حيث جعلها ضمن عناصر الجيش الموحدي. وكان لهذا الإجراء عدة دوافع أهمها :

- **الدافع الأول :** يتمثل في أنه أراد أن يستفيد من هذه الطاقة البشرية الهائلة طاقات العرب في قتال النصارى بالأندلس، الذين اشتد عدوانهم على المسلمين[4]
- **الدافع الثاني** : والذي يبدو أن العرب قد أدركوه وهو التخلص من ثوراتهم في إفريقية وإبعادهم عنها، من أجل استرجاع الأمن بهذه المنطقة التي تبعد كثيرا عن مركز الخلافة الموحدية.[5]
- **الدافع الثالث** وهو الأهم، تمثل في استمالة القبائل العربية لصفه، ليستعين بهم كحلفاء جدد، يمكنهم مساعدته في تحقيق مشروعه الرامي إلى جعل الخلافة وراثية في أعقابه[6]

وقد برهن عبد المؤمن في طريقة استنفاره للعرب على براعته كرجل حرب وسياسة، حيث انتقل بالإستراتجية إلى مستوى أرفع، فقد أتقن فنون التأثير على العقل الباطن للجماهير " وهي إستراتجية من نموذج نفسي تؤثر على اللاشعور البشري" [7] فنجد من جهة كان مطلعا على كل مناوراتهم وطرق قتالهم، وحيلهم الحربية فلهذا

استطاع الانتصار عليهم، ورغم ذلك سلك معهم أسلوب السلم فعمل على مهادنتهم وإغرائهم بطرقه الخاصة، لأنه كان يدرك قوتهم وقدرتهم على إثارة المشاكل، والاضطرابات في إفريقية، فتعامل معهم بكرم الخلق، حيث عرف كيف يواري نواياه دون فرض رغباته بالقوة، ومن جهة أخرى أظهر معرفته التامة بنفسية البدو، حيث استغل قضية النسب العربي الذي تربطه بهم، وخاطبهم بقصيدة شعرية ركز فيها على إظهار أمجاد وبطولات أجدادهم الأوائل فاتحي الأندلس[8]، هذا إلى جانب تذكيرهم بحقوق الجهاد في سبيل الله وإغراءهم بما سينالونه من مكاسب مادية، وغنائم.

وقد كان لهذا الإجراء انعكاسات إيجابية وسلبية، فبالرغم من أن العرب قد عززوا قوة الجيش الموحدي، وشاركوا في العديد من معارك الموحدين بالأندلس وعمقوا حركة التعريب في المغرب، إلاّ أن وصولهم إلى المغرب الأقصى، وتغلغلهم في قلب الدولة كان بمثابة ضربة لها، بل أن بعض الباحثين يعتبرونه خطأ عسكريا فادحا[9]، وأن ضررهم أكثر من نفعهم[10] ولا شك أن اتخاذ عبد المؤمن لهذا الإجراء وتقديره له كان على المدى القصير أما على المدى البعيد كان بمنزلة الكارثة على الدولة الموحدية، فاستقرار العرب في قلب الدولة الموحدية، مكنهم من التدخل في سياستها، ونظرا لما امتازت به من التقلب وعدم الولاء وشغف استغلال الفرص السائحة، فقد خذلوا الجيش الموحدي في كثير من المواقع.

ب : تغيير طبقات الجيش

قام عبد المؤمن بإحداث تغيرات على النظام الذي وضعه المهدي، زيادة على استقدامه لقبيلة كومية الزناتية، ووجعلها في الترتيب الثاني، وتعود خلفيات ذلك إلى أنه كان عليه إيجاد مبررات قاطعة لإقناع القبائل بأحقيته في الخلافة، فعلى الرغم من المميزات والمؤهلات التي كان يتحلى بها إلاّ أنه كان في نظرهم من الغرباء وينتسب إلى عصبية غير عصبيتهم، ورغم اتفاق الموحدين لتقديمه لهذا السبب، إلاّ أنه واجه معارضات كثيرة من بعض الزعامات الموحدية، سواء تلك التي كانت تحتل مناصب مهمة في تنظيمات الموحدين كإبن ملوية[11]، وأبي بكر بن تونودنت[12]، أو تلك التي كانت من أهل الدار(قرابة المهدي) كيصلاتن وعبد العزيز وعيسى[13]، وظهر خطر الجناح الأخير من سلوكاتهم التي عكست استهتارهم بسلطة عبد المؤمن واعتبار أنفسهم أصحاب السلطة الفعلية.[14]

ورغم كونه خليفة للموحدين، فإن سلطته لم تكن مطلقة، ولم تفوق سلطة أي شيخ من الأشياخ وتجلى ذلك في حادثين :

حادثة قتل أخيه من طرف أحد صحابة المهدي، وحادثة قتل السلطان المرابطي الصغير الذي أبدى عبد المؤمن بعض العطف اتجاهه وقد أدرك خطورة هذا الوضع المحيط به، إلاّ أنه كان يتحصن إزاء ذلك بالصبر وضبط النفس، لكونه غريبا لا عصبية تحميه، ولإدراكه بأهمية هذه القبائل في صون الدعوة وتشييد الدولة وإطفاء نار الثورات، قام باتخاذ إجراءات على مراحل وخطوات مدروسة.

فمن جهة قام بالقضاء على ابن ملوية نتيجة تمرده، كما قام بتصفية قرابة المهدى بدءا بيصلاتن، ثم عيسى وعبد العزيز، مدعما ذلك بحملة إعلامية قبل وبعد العمليتين[15].

ومن جهة أخرى فإن التغير الذي أحدثه على مستوى التنظيم الموحدي، قصد به كسر شوكة القبائل سياسيا والقضاء على نفوذ الأشياخ، وتظهر حنكته السياسية كونه اختار الفترة الزمنية الفاصلة ما بين معركة البحيرة ومعركة وهران وهذا ما سمح للكثير من القبائل الأخرى من غير مصمودة باحتلال مكانة مرموقة بين الموحدين وعلى رأسها كومية الزناتية وإن كان الظاهر هو عدم التقيد بالقبلية، " فالواقع يقول أن القبيلة المقصودة بالكبح هنا هي قبيلة مصمودة بالدرجة الأولى"[16]، وكان الهدف الأساسي الذي يرمي إليه هو تقويض نظام الشورى الذي يعرقل مشاريعه، وتعويضه بالنظام الملكي، فقام بتعيين ابنه محمد وليا للعهد، ثم خصص مناصب ولاة الأقاليم لأبنائه، كما قام بإبعاد شيوخ القبائل عن المناصب التنفيذية والوظائف الإدارية، وذلك بحجة تخصيصها للكفاءات التي رباها وفق إيديولوجيته، وقام خلالها باستدعاء قبيلته كومية حيث راسلها سرا لتحضر إليه وتكون حامية له وأداة ردع للطامعين[17].

وهكذا استطاع عبد المؤمن نقل السلطة الحقيقية إلى شخصه وتوريثها في بنيه ولولا صرامته وحزمه لما تحقق له ذلك في مجتمع تسوده القبلية.

2 - مبادئ الحرب وأهدافها

ما من شك، أن قيام الدولة الموحدية، كان نتيجة لدعوة دينية إصلاحية ذات طابع جديد وذلك من أجل تحقيق غايات سياسية، وقد أثرت هذه الدعوة على مختلف أنظمة الدولة فيما بعد، بما فيها النظام العسكري.

وانطلاقا من هذه النقطة نجد أن الحروب التي خاضها الموحدون بقيادة عبد المؤمن اتخذت طابعا دينيا ومن أهم الأهداف التي سار عليها خلال حروبه وتوسعاته هي :

- محاربة المرابطين والقضاء على دولتهم (حيث نعتوا بالمجسمين الكفرة)، هادفا بذلك إلى إقامة دولة تقوم على مبادئ الإسلام الصحيحة حسب ما سطرته لهم دعوة المهدي.
- محاربة كل الذين لم يخضعوا لسلطان دولته، سواء كانوا مسلمين أو نصارى، أو الثوار الذين كانوا ينكثون العهد ويخرجون عن الدولة كلما سمحت لهم الفرصة.

ومن خلال هذا نلاحظ تداخل العامل الديني العام الذي تجلى في جهاد النصارى بإفريقية والأندلس، والديني المهدوى الخاص الذي تجلى في جهاد المسلمين من غير الموحدين[18].

وخلال هذه الحروب، حرص عبد المؤمن على الالتزام ببعض المبادئ وهي :

- زيارة قبر المهدي في تينملل قبل الخروج إلى الغزو.[19]

- حمل مصحف عثمان، ومصحف ابن تومرت، وكتب الحديث الصحاح أثناء مسير الجيش
- الإخلاص الشديد لمبادئ المهدي[21]
- جمع أحاديث الجهاد وإملائها على الموحدين قبل الخروج للقتال، وتكوين فرقة خاصة لقراءة حزب من القرآن، وشيء من الحديث وعقائد المهدي[22]
- الحرص على أداء الصلوات أثناء المسير والقتال[23]، كما تقيد ببعض الآداب المتعارف عليها، كتجنب خراب الزرع [24]، وإنذار العدو واعذاره وإتباع أسلوب الترغيب، وذلك عن طريق الدعوة للدخول في التوحيد[25]، ويعود انتهاج عبد المؤمن لهذا الأسلوب إلى هدفين، أولهما جلب الأنصار والمؤيدين، وثانيهما تفادي الاصطدام مع العناصر القوية التي لا تظهر الجنوح والاستسلام كابن غانية [26]، وابن مردنيش[27]، كما أنه كان يمنح الأمان لكل من يجنح لذلك. فعبد المؤمن كان يبرز في بعض الأحيان، طابع التسامح والعطف إذا تطلب الموقف ذل، إلاّ أنه من جهة أخرى كان شديدا في تنفيذ الأحكام ضد من وجب عليهم القتل خاصة ضد ناكثي العهد، وخير دليل على ذلك حوادث الاعتراف التي قام بها، وكان ينشد :

وحكم السيف لا تعبأ بعاقبة ❖❖❖ وخلّها سيرة تبقى على الحقب
فما تنال بغير السيف منزلة ❖❖❖ ولا ترد صدور الخيل بالكتب

كما أنشد فيه :

ملكت القلوب حبّا ورهبة ❖❖❖ فدان بك الصنفان برّ وفاسق

وكان عبد المؤمن يأمر ولاته بإتباع سياسة الشدة في الولايات والمدن الثائرة على ألاّ يذهب الولاة مع ذلك في القسوة إلى حدّ إثارة البغضاء.[28]

3 - التعليم والتكوين العسكري

إن تعلم العمل الحربي لا يأتي إلاّ بالتجربة، وهذه الأخيرة بحاجة أن تكون دقيقة وواضحة، وموجهة ومكملة من قبل ذكاء متفتح، تدعمه شخصية قوية، ولهذا، فإن التعليم العسكري أصبح من الأمور الضرورية، لأن الاشتراك في المعركة بشكل مجد يتطلب الحصول على مجموعة معلومات خاصة أي على علم عسكري كما أن الحصول على المهارة لا يأتي إلاّ بالتدريب[29]

ومن هذا المنطلق ومن أجل هذا، قام عبد المؤمن بإنشاء مدرسة تقوم بهذه المهمة وكانت هذه المدرسة تضم عددا كبيرا من الطلبة يدعون بالحفاظ [30]، حيث سماها البعض بمدرسة الأطر أو الإطارات[31] والتزم " بالقاعدة الثلاثية التي تركز على التعليم، التدريب، التربية"[32] كما قرن الحركة العلمية بالخدمة العسكرية والتمرين في فنون الحرب، كانت هذه المدرسة كانت تضم نحو ثلاثة ألف طالب على رأسهم أبناء عبد المؤمن، إلى جانبهم أبناء الجماعة وأهل خمسين وأهل الدار، كما قام عبد المؤمن بجلب نجباء الأولاد

من المدن مثل اشبيلية وقرطبة وفاس وتلمسان، واجتمع له من اشبيلية فقط خمسين صبيا، وحرص من جهة أخرى على مراعاة وحدة السن بين التلاميذ أثناء التمدرس، فكانوا في سن متقارب بهدف تسهيل سرعة الحفظ، وتيسير عملية ترتيبهم في وقت واحد فجاءوا وكأنهم أبناء ليلة واحدة، وكانت مدة الدراسة ستة أشهر.

أما عن منهج التعليم، فقد كان يجمع بين الجانب النظري والعلمي، حيث كانوا ملزمون بحفظ القرآن الكريم، ودراسة تآليف المهدي في التوحيد والفقه، والقرآن وصحيح مسلم[33]، كما كانوا يدرسون عدّة كتب في إدارة الولايات، وكان هذا التعليم باللغتين العربية والبربرية، أما من الناحية العملية ومن خلال النص السابق نلاحظ أنه كان يخصص لهم أياما للتدريب العسكري، وهذا الأخير كان يشمل الجانبين البري والبحري، ويهدف من خلاله معرفة مدى تقدم هؤلاء الطلبة في فنون الحرب وفي استعمال الأسلحة المختلفة، كما كان يشرف بنفسه على هذا التدريب ويتكفل بسائر مؤونتهم، مما يوحي بمجانية التعليم في هذا العهد، ومن جهة فرض عبد المؤمن التعليم الإجباري وتعميمه، حيث بعث بمرسوم إلى جميع أنحاء المغرب، يحث الناس على تعلم مبادئ الإسلام وقواعده أولا، ثم تعلم عقيدة المهدي (التوحيد) وحفظها وأدخل في هذا الإلزام الرجال والنساء، الأحرار والعبيد، وكل من توجه عليه التكليف، وواضح من خلال هذا المنهج الدراسي أن عبد المؤمن أراد أن يربي الشباب تربية عسكرية إسلامية، وأن يخرج رجالا يلمون بالأفكار

الأساسية للدعوة ليحتلوا الوظائف الكبرى في الإدارة والجيش والأسطول، وبذلك عزل بهم أشياخ المصامدة عن ولاية الأعمال الرياسة وأبقاهم للمشورة، وعين هؤلاء الحفاظ مكانهم حيث نجد أن أسماءهم قد ورد ذكرها في القيادة العسكرية وولاية الولايات أو أقسام منها وذلك في مختلف أطوار الدولة

وقد هدف عبد المؤمن بهذا التكوين تولية أبناءه الأمر، وتعيين من يثق فيهم الولايات، وقيادة الجيش والأسطول، وإخراج جيل ولاءه له أولاً وأخيرا، وهذا كله في إطار توطيد الحكم الوراثي[34]

كما أشير إلى الفرق الموجود في التعليم داخل هذه المدرسة وذلك بين التعليم النظري الديني والتعليم التطبيقي العسكري ويمكن رد ذلك إلى طبيعة التعليم والتكوين في حد ذاته، فالتعليم النظري الديني، لم يكن هدفه الثقافة والإطلاع، بقدر ما هو بهدف العمل والتنفيذ فيما بعد، فمن خلال المبادئ التي يتلقاها الطالب خلال التعليم النظري، يدرك كبر المهمة الملقاة على عاتقه، وعظم المسؤولية، وما عليه إلاّ السمع والطاعة، وفي حقيقة الأمر فإن هذه التربية الخاصة إنما أساسها يعود إلى المهدي.

4 - المجالس الحربية ودورها

لم يكن لعبد المؤمن أن يقدم على أمر من الأمور الهامة لدولته دون جمع الطبقات والهيئات من أجل الاستشارة، وتجلى ذلك

من خلال المجالس الحربية التي كان يحرص على عقدها والإشراف عليها والمشاركة فيها بالحوار والمناقشة، وتعتبر هذه المجالس بمثابة مؤتمرات حربية، يتم فيها مناقشة مختلف الأمور الحربية، وكانت هذه المجالس تعقد قبيل نشوب الحرب والإقدام على الغزو، وذلك من أجل الحصول على الموافقة من أكبر رجال الدولة، واستشارتهم في الأمر للإدلاء بآرائهم الخاصة حول العمل القادم، وكيفية وضع خطة يتم بها الغزو، كما كانت تعقد بعد أمر هام كهزيمة حربية، حيث يتم الاجتماع لتداركها ومحاولة لتجميع القوى، وكان عبد المؤمن يحرص على الاستماع لأراء قادته، وأكبر رجال دولته، خاصة أصحاب الخبرة الطويلة بالحروب، وإذا تعلق الأمر بالأندلس، فإنه يترك للقادة الأندلسيين الرأي في ذلك، لما لهؤلاء القادة من إلمام بطرق بلادهم، ومسالكها وفهم طبائعها، وخبرتهم بحرب النصارى.

كما كان يعقد مجالس تمويهية لتنفيذ خطة من الخطط، خاصة إذا تعلق الأمر بتصفية بعض العناصر المشكوك فيهم، ونظرا لخطورة الجبهة الأندلسية فقد احتلت شؤونها الجانب الأكبر في بعض المجالس، وحاول عبد المؤمن قدر الإمكان الاستفادة من بعض الغزوات السابقة التي خاضها المسلمون ضد النصارى بالأندلس واعتبارها منطلقا لغزواته في المنطقة، حيث حرص على إحضار قدماء الجند في الجبهة الأندلسية والاستماع لأرائهم والاستفادة من خبراتهم الحربية، ومن أهم ما كان يهتم به عبد المؤمن خلال انعقاد هذه المجالس هو التعبئة النفسية أو الإعداد المعنوي للمقاتلين.

فلم يكن يهتم بالوسائل التي يخوض بها المعارك فقط من حشد للجيوش وإعداد للسلاح بل كان يهتم بتجنيد الضمائر وتعبئتها، ويراعي الحالة النفسية للجندي وتتم هذه التعبئة وتتجلى من خلال جمعه لأحاديث الجهاد وإملاءها على الموحدين قبل الخروج للقتال، وتذكيرهم بفضل الموحدين عند الله تعالى، وفضل الجهاد في سبيل الله وذلك من أجل بعث الثقة في نفوسهم وربط ذلك بالغنائم والمكاسب المادية وهي طريقة اكتسبها عن معلمه ابن تومرت [35] وقد تنبه عبد المؤمن إلى أهمية العامل الديني في إذكاء الحماسة في نفوس المقاتلين وإدراكا منه " أن القوة المعنوية تقرر نجاح طرف من الأطراف، وأن الطرف المنهزم هو الذي تحطمت معنوياته قبل الأخر"[36]، فقد كان لا يشرك في معركة إلاّ بعد أن يعظ في مجالس وعظ[37] كما كان يكثر الدعاء والعبادات ويحث الخاصة والعامة على فعل ذلك تيمنا بتلك العبادات وتحضيرا روحيا للجند، وفي بعض الأحيان كان قادة جيشه هم الذين يقومون بهذه المهمة، خاصة إذا تعلق الأمر بغزوة في الأندلس[38].

5 ـ الإعداد العسكري

ويقصد بها التعبئة[39]، العامة والإعداد للحرب، فبعد عملية التشاور بينه وبين شيوخ الموحدين، وأشياخ العرب وأشياخ القبائل من الأجناد، وقادة الجيش البارزين وأهل الحروب ممن تعودوا الغزوات من أهل الرأي[40]، تتم الموافقة على الغزو ويبدأ الاستعداد له، حيث

يقوم ببعث الرسائل إلى مختلف جهات الدولة يستنفر الناس للجهاد، ويبدو أن هذه الطريقة كانت تأتي بثمارها[41].

وتعتبر هذه العملية التي قام بها عبد المؤمن، من الترتيبات الحربية المعترف بها وتسمى بالحشد[42] وهذا الأخير معناه جمع أكبر عدد من القوات المقاتلة وتوجيهها إلى الغرض الرئيسي للعملية[43]

وقد أظهر عبد المؤمن شديد اهتمامه بأمر تموين الجيش، ففي الوقت الذي تتجمع فيه الحشود من كافة أطراف الدولة ومن مختلف الطبقات، تكون الأسلحة قد جهزت سواء من طرف القبائل أو تلك التي يتم صنعها في الحضرة' إضافة إلى تجهيز الأسلحة كانت تعد الخيول حيث يتم استجلابها وبصفة خاصة من إفريقية وكانت الخيول المستعملة في الحروب تخضع لعملية تدريبية ويدربها خاصة العرب الذين كانت لهم دراية بتربية الخيول وترويضها إضافة إلى بعض المعدات الأخرى من روايا وقرب وحياض كما تجهز كذلك الأساطيل إذا تعلق بغزو مدينة بحرية أو بغزو نحو الأندلس هذا إضافة إلى إعداد المؤن والأقوات من القمح والشعير والعلوفات، وأشتهر عبد المؤمن بقدرته على التخزين وذلك لتموين الجيش، وهذا التخزين يكون سواء داخل الحصون أو على الطريق الذي يسلكه الجيش أثناء مسيره نحو المعركة، كما كانت تحصى أموال المخازن ويجعل عليها مشرفون ثقاة وهذا التخزين يكون حسب درجة الأخطار لمواجهة أو

فرض الحصار المتوقع أطول مدة ممكنة، وكان الاستعداد للقتال في الجبهة الأندلسية ينال أهمية خاصة عند عبد المؤمن[44]

وبعد تمام الاستعدادات يأمر عبد المؤمن بتمهيد المسالك التي يسلكها الجيش وتحفر الآبار في الطرقات[45].

وبعد تمام عملية التعبئة، يستعرض الجيش أمام الخليفة للتمييز ومتى تم ذلك بدأ المسير.

6 ـ الاستعراضات العسكرية

كان الجيش الموحدي يتبع نظاما خاصا، وضعه له عبد المؤمن بن علي، فعندما يستقر رأي هذا الأخير على الخروج للغزو يضرب قبته الحمراء[46] يخفق عليها علمه الأبيض، ثم يقوم باستعراض جيشه، وكان يستغرق ذلك يوما أو عدة أيام، حيث يقوم باستعراض سائر القبائل المتقدمة للغزو، وكانت هذه العملية تدعى" بالتمييز".

وقد ارتبط التمييز في عهد المهدي بتطهير صفوف الموحدين من المنافقين أو الذين يخشى عدم طاعتهم [47]

ويبدو أن عملية الاستعراض هذه كانت تحتل مكانة خاصة عند عبد المؤمن حيث يذكر المراكشي : " دخلت ـ أي الوزير أبي جعفر ـ على عبد المؤمن وهو في بستان له أيعنت ثماره، وتفتحت أزهاره، وتجاوبت على أغصانها أطياره، وتكامل من كل جهة حسنة، وجعلت أنظر يمنه وشماله، متعجبا مما أرى من حسن ذلك

البستان، فقال لي : يا أبا جعفر، أراك كثير النظر إلى هذا البستان ! قلت : يطيل الله بقاء أمير المؤمنين، والله إن هذا المنظر حسن ! فقال : يا أبا جعفر، المنظر الحسن هذا ؟ قلت : نعم، فسكت عني، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة، أمر بعرض العسكر آخذي أسلحتهم، وجلس في مكان مطل، وجعلت العسكر تمر عليه قبيلة بعد قبيلة وكتيبة إثر كتيبة، لا تمر كتيبة إلاّ والتي بعدها أحسن منها، جودة سلاح وفراهة خيل، وظهور قوة، فلما رأى ذلك التفت إلي وقال يا أبا جعفر، هذا هو المنظر الحسن، لا ثمارك وأشجارك !"[48] وما يستنتج من نص المراكشي أن الخليفة يقوم بالإشراف على هذه العملية، من مكان مطل، حيث كان العرض العسكري يلقى اهتماما خاصا وبالغا لدى عبد المؤمن، كما دلّ على هيبة الدولة وقوتها وعظمتها

وكان التمييز يتم في الحضرة أو أثناء السير إلى المعركة أو بعدها، كما يراد من الاستعراض في بعض الأحيان إرهاب العدو وتخويفه بحيث يكون في هذه الحالة معركة نفسية توتر أعصاب العدو وتدخل الخوف في نفوس جنوده قبل المعركة الميدانية [49].

وكانت عناصر الجيش تعرض حسب ترتيبها الخاص، وهذا الأخير، قد عرف بعض التغيير على يد عبد المؤمن، ففي عهد المهدي، كان أول العناصر عرضا أهل الجماعة، وعلى رأسهم عمر أصناج، فأهل الخمسين، فالطلبة، فأهل الدار، فقبائل الموحدين وأولهم هرغة، فأهل تينملل فجدميوه، فجنسيفة فهنتاتة فالقبائل

فالجند، فالغزاة [50]، أما في عهد عبد المؤمن، وبعد تحول الخلافة إلى ملك وراثي وتحالفه مع عناصر معينة، إختل هذا الترتيب، حيث حافظ عبد المؤمن في ترتيبه الجديد بمبدأ الأسبقية في التوحيد كمبدأ عام، ولكنه قدم كومية على كثير من القبائل الموحدين، وقدم هنتاتة ولما انضم العرب إلى الجيش، كانوا يعرضون على ترتيب توحيدهم.

وقد أكد عبد المؤمن على التزام كل طرف بموقعه في الجيش حتى لا يقع الخلل وتعتبر عملية التمييز هذه أو الاستعراض نوعا من أنواع الانضباط العسكري حرص عبد المؤمن على القيام بها لحفظ توازن الجيش وعدم وقوع الخلل للحيلولة دون وقوع كارثة عسكرية.

واقترن بعملية التمييز هذه، خروج البلاد، حيث تتجمع لاستقبال الخليفة أو توديعه إظهارا للطاعة وتعبيرا عن المحبة، وكان يسمى ذلك " بالتبريز"، بحيث لا يبقى من أعيان البلاد وأدبائها وشعرائها من لا يبرز للتبرك، وقد حرص الشعراء على مدح الخليفة بقصائد شعرية في مثل هذا اليوم إلى درجة التنافس الشديد بينهم[51]

ومن القصائد التي قيلت في عبد المؤمن وهو مقيم بجبل الفتح ما مطلعها :

تكلم فقد أصغى إلى قولك الدهر❖❖❖ وما لسواك اليوم نهي ولا أمر

ورم كل ما قد شئته فهو كائن❖❖❖ وحاول فلا برّ يفوت ولا بحر

وحسبك هذا البحر فألا فإنه يقبل❖❖❖ تربا داسه جيشك الغمر [52]

7 ـ مسير الجيش باتجاه المعركة

بعد تأكد الخليفة من تمام الاستعدادات المادية والمعنوية لقواته، يأذن للجيش بالشروع في المسير.

وكان المسير عادة بعد صلاة الصبح قبيل شروق الشمس[53]، وكانت علامة المسير ثلاث قرعات من طبل ضخم[54]، ويقول المراكشي أن " أول شيء يصنعونه في أول النهار، بعد صلاتهم الفجر أن يخرج من ينادي« الاستعانة بالله والتوكل عليه»، هذه عندهم للركوب، فحينئذ يركب الناس، ويخرج الخليفة من خيمته راكبا وأعيان القرابة وأشياخ الموحدين بين يديه مشاة خطوات كبيرة، ثم يأمرهم بالركوب، فإذا ركبوا وبسط يديه ودعا، فإذا فرغ الدعاء افتتح القراءة طلبة الموحدين خلفه فيقرءون حزبا من القرآن في نهاية الترتيل، وهم سائرون سيرا رفيقا، ثم شيئا من الحديث، ثم يقرءون تواليف ابن تومرت في العقائد بلسانهم وباللسان العربي، فإذا فرغوا، وقف الخليفة أيضا، وبسط يديه ودعا، وإذا كان وقت النزول أيضا نزلوا مشاة بين يديه إلى خيمته، فإذا بلغها بسط يديه ودعا، فلا يزال هذا دأبهم في جميع سفرهم كله "[55]

ويبدو أن الجيش كان يخرج من باب دكالة[56]، وكان للسير نظام لا يتبدل وهو أن يتقدم مائة فارس بمصحف عثمان[57]، وقد أفادنا كل من ابن القطان وصاحب الحلل بذلك، حيث يقول الأول " وعلم الناس الحركة كيف تكون، فأمرهم إذا عزموا على الركوب أن يناد مناد : «الاستخارة بالله والتوكل عليه»، وإذا

تحركوا أن يقدموا أمامهم لواء أبيض مع عدد من الرجالة يكون بينه وبين الأمير مقدار ربع ميل ويكون الأمير متقدم على الناس خلف اللواء المذكور، في جملة من يختص به، ثم تتبعهم الرايات الكبار والطبول والعسكر المعرفون بالساقة، ثم كل قبيل على ترتيب وحسن هيئة معه علاماته"

أما صاحب الحلل فيقول : "وكان إذا ركب اجتمع إليه أعيان الناس فيدعون له ويتقدم الناس، ويمشي أمامه على بعد منه مقدار مائة فارس بمصحف عثمان بن عفان ... ويتبعه هو وابنه السيد أبو حفص وراءه، لا يوازيه أحد، وأبناءه الآخرون وراء أخيهم أبي حفص لا يوازونه إلاّ الأقرب من أبي حفص السيد أبو عبد الله ولي العهد، ثم تتبعه البنود والطبول، ومن وراءها الأمراء لأمر دولته، ويتتابع الناس لا تزاحم بينهم، فإذا كان وقت النزول نزلت كل قبيلة في منزلها وعلى ترتيبها لا يتعدى أحد طوره، لهم رتب معلومة قيدها الحد وحماها الخوف ... "[58].

ومن خلال هذين النصين، نستنتج أن النظام المتبع خلال مسير الجيش بقي على حاله منذ أيام المهدي، ولم يتبدل، والشيء المضاف فقط هو مصحف عثمان، وكان للجيش منازل معينة معلومة ينزلها، ليستريح فيها وكان للخليفة في كل منطقة ينزلها دار تليق بمقامه وبلغ عددها من حضرة مراكش إلى الرباط (المهدية) ثمانية ديار[59] ، وكل شيء يتم وفق نظام معين حيث يتم تقسيم الجيش إلى أربعة أقسام يفصل بعضهما عن بعض أثناء المسير مسيرة يوم، وذلك

حتى يقع نقص في الماء أو ضيق في المكان، وكان السير مقتصرا على المدة المحصورة بين شروق الشمس إلى وقت الظهر، حتى يتمكن الجيش بدأ المسير في اليوم التالي بقوى جديدة.

وإضافة إلى مسير الخليفة والأمراء ينضم إليهم كذلك الولاة والقضاة والوزراء والكتاب، وبعدها يأتي الجند متعاقبين في نظام محكم، وكان قادة الجيوش يمتطون جيادا مطهمة، ويتقلدون أسلحة فاخرة ويرتدون ثيابا فخمة، وإذا حلّ وقت النزول والوقت الذي ينتظم فيه المعسكر أفرد لكل قسم مكانه المعين ولا يسمح لأي إنسان أن يترك المعسكر دون إذن القائد المختص، وما يلاحظ على مسير الجيش الموحدي هو البطء في الحركة، حتى أن عبد المؤمن قطع المسافة بين سلا إلى تونس في ستة أشهر بينما هي مسيرة سبعين يوما للمجد الراكب[60]، وهذا البطء في السير يحفظ للجند قوتهم ويوفر لهم طاقتهم للقاء العدو.

ومن خلال هذا المسير نستنتج أن نظام الدولة الموحدية كان جد صارما ويبدو عليه التركيز والثبات، وهذا يعود إلى صاحب التخطيط والتنظيم.

8 ـ الاستطلاع والتجسس

إن الثقة في نجاح العمليات الحربية يتوقف على الخطة التي وضعها القائد، وتخضع هذه الأخيرة لأمور كثيرة في غاية الأهمية، ويعتبر العسكريون التجسس (الاستكشاف أو الاستطلاع) أحد هذه

الأمور، وما من قائد يطمع في إحراز النصر إلاّ ويبدي غاية اهتمامه بذلك وبناء على ما يحصل عليه من معلومات يضع خطته.

ويقصد بالتجسس أو الاستكشاف تكوين فكرة عن العدو وذلك بالحصول على معلومات تتعلق بمكان المعركة وإمكانيات العدو وتكتيكاته وأساليبه في الحرب وبالجو الذي يصاحب العملية وبالقوى الشعبية الموجودة خلف القوات المقاتلة، ويرى البعض أنّ استمرار أعمال مراقبة العدو واستطلاعه عنصرا ضروريا لاستمرار الذكاء الحربي للقائد العسكري[61].

وعلى هذا الأساس، كان عبد المؤمن يفكر بعقلية رجل الحرب، ذي العقل المدبر حيث كان الحصول على معلومات عن عدوه، من أهم النواحي التي عني بها، فهو لم يلتقي مع جيش من جيوش خصمه إلاّ بعد معرفة الكثير عنه وعن عادته وتقاليده وطرق مسيره وقتاله وتكتيكاته الحربية وصفاته النفسية والمعنوية فعندما يعزم الأمر على غزو جهة معينة، فإنه يبعث بسرايا استطلاعية لتترصد أحوال العدو، حيث تعود بأخبار ومعلومات، خاصة ما يتعلق بالإمكانيات المادية له، وغالبا ما كانت هذه الكتائب الاستطلاعية تقوم بالهجوم الأولي بهدف معرفة القدرات القتالية للعدو، كما كان يبعث بعيونه للاستطلاع ورصد الأخبار فكان يختار من رجاله من يكون موضع ثقته، حتى يطمئن إلى ما يأتون به من معلومات، كما كان يقيم الأخبية ملاصقة للمدن أثناء حصاره لها وذلك لرصد أخبار وأحوال سكانها واكتشاف مواطن الضعف

فيها، فيسهل بذلك اقتحام هذه المدن، وهي نوع من أنواع التجسس العسكري الذي يستهدف معرفة الروح المعنوية للمحاصرين ومؤونتهم، وبناء على ما يحصلون عليه من معلومات تتحدد مقدرتهم على مواصلة الدفاع وبالتالي مدّة الحصار وقد اتبع قادة جيشه نفس الأسلوب في الأندلس، وقد أظهرت هذه العملية نجاحا حيث كانت وراء انتصاره في كثير من الأحيان[62].

وإلى جانب التجسس، عرف الموحدون البريد الحربي، وكان الشخص المكلف بهذه المهمة يدعى الرقاص، حيث يختار من الرجال الأقوياء المدربين على الركض وتحدد واجباته تحديدا دقيقا حتى لا يسئ استعمال نفوذه، وكان يجد في كل محطة حصانا مسرجا يمتطيه إلى محطة تليها[63].

9 ـ الخطط الحربية وطرق القتال

الخطة العسكرية أو الحربية هي التصميم الفكري والعلمي الذي يسبق البدء بإعداد وتنفيذ أي عمل عسكري، وتمثل خطة التصور الأساسي الذي ينبغي على القائد امتلاكه والتصرف على أساسه قبل البدء بالعمل، وهي تشمل العمل العسكري كله، ويصبح هذا العمل بفضلها عملية واحدة ذات هدف نهائي واحد تنوب فيه كافة الأغراض الخاصة أو الجزئية، ولا يمكن أن يبدأ أي عمل عسكري مهما كان مستواه قبل أن تكون المعالم الأولى لتصميمه ومساره وأهدافه قد توضحت في ذهن القائد ومرؤوسيه.

وإذا كان العمل العسكري يمر بثلاث مراحل هي : التخطيط، الإعداد والتنفيذ، فإن التخطيط العسكري يشكل في حد ذاته عملا فكريا أساسيا يستهدف طبيعة العمل وكيفية تنفيذه وهذا لا يكون دون معرفة الهدف الحقيق[64] وعبد المؤمن كان ملّما كل الإلمام بهذه النظرية، فلهذا نجده بعد وفاة المهدي، رسم طريقا ومنهجا معينا سار عليه واتبع خططا وطرقا مضبوطة مكنته من تحقيق هدفه وتجسد ذلك من خلال :

أ ـ حرب الجبال

سار عبد المؤمن في إطار تحقيق حلم المهدي، والذي غدا هدفه المنشود ببطء ومنهجية، فإن كان الموحدون أيام المهدي، قد اتبعوا النموذج الحربي المباشر أو ما يسمى في لغة التكتيك العسكري "الإستراتجية المباشرة "وتجسد ذلك في معركة البحيرة، فإننا نجد عبد المؤمن قد استفاد كثيرا من هذه المعركة التي كادت أن تقضي على حركتهم في المهد وتمسك بالأمل الأكيد وبالربح في المستقبل وهذا ما يفعله الإستراتيجي ما دام قادرا على تحمل الخسارة الآنية

وفي إطار هذه السياسة اتبع عبد المؤمن الإستراتجية غير المباشرة "فهذا النموذج الحربي يلعب فيه الطموح الحربي والصبر دورين أساسيين وأي معركة مباشرة مع العدو تعد حلاّ من أسوء الحلول "[65] ولهذا فإنه رأى من الواجب تفتيت الخصم ماديا ومعنويا

وإزعاجه وزعزعة توازنه، واستنزافه من كل النواحي والاقتراب من جهات لا يتوقعها قبل الإجهاز عليه إجهازا تاما ولهذا بادر عبد المؤمن بتطبيق خطة الجبليين المعهودة[66] التي كان أوصى بها المهدي بقوله " لا تهبطوا للوطاء واتركوهم يصعدون إليكم "[67]، فتجنب بانتظام ملاقاة المرابطين في ساحة القتال، ولم يخاطر بالنزول إلى السهل[68] بل عمل على توطيد سلطته في سائر أنحاء سلاسل جبال المغرب الأقصى[69] وهذه الميزة الدفاعية تناسبت تماما وظروف الموحدين العسكرية آنذاك.

وقد أظهر عبد المؤمن خبرته التكتيكية التي تشبع بها في ميدان القتال أيام كان جنديا في جيش المهدي، خاصة الدرس الذي أخذه من معركة البحيرة والمتمثل في عدم مهاجمة العدو في الظروف الحالية لعدم توفر القوة اللازمة ومن جهة أخرى نجد أن المرابطين كذلك لم يغادروا السهل إلاّ قليلا، واقتصر نشاطهم على ملاحقة الجيش الموحدي، منتظرين هبوطه من الجبل ليسحقوا قواته ولم يدركوا أن الوقت يسير في غير صالحهم[70]

ويقول روجي ليتورنو " أن هذه اللعبة استعمل فيها الخصمان أسلحة مختلفة تماما وكان كلاهما حذرا ـ بعد تجربة ـ من المخاطر التي تكتنف المغامرة في أراضي خصمه "[71]

وخلال هذه المدة التي لم تكن أبدا في صالح المرابطين، كان عبد المؤمن يعمل على استنزاف قواهم، فقد استولى على

أراضي كثيرة كانت تابعة لهم، "كما سعى جاهدا لكسب الأنصار لعقيدة الموحدين وتجنيدهم لخدمة الحركة "[72]

واعتمد في هذه المرحلة كذلك على حرب العصابات أو حرب الكر والفر، وهذه الطريقة اكتسبها الموحدون من طبيعة بلادهم الجبلية وكثرة حروبهم وقوة التدريب فقد كان يبعث بسرايا تتكون من أكفأ الجند، تقوم بهجومات خاطفة تشمل عمليات قتل، تغنم ثم تعود إلى مواقعها في الجبال وتميز أفراد هذه السرايا بالخفة والشجاعة في القتال.

وهكذا فإن عبد المؤمن لم ينجح عمليا فقط في شطر أراضي المرابطين إلى شطرين من ناحية تازة، وفي أن يقيم ناحية مراكش المرابطية شبه حركة كماشة في سلسلتي الريف والأطلس فحسب، بل إنه عزز جنوده أيضا تعزيزا كبيرا وأنشأ تدريجيا قوة فعالة أصبحت أكثر فأكثر قوة تضاهي قوة خصومه وفي عام 539 هـ / 1145 م وفي المنطقة القريبة من تلمسان وبعد أن تأكد عبد المؤمن أنه بلغ من القوة درجة تمكنه من الشروع في حملة حاسمة قرر بدأ الهجوم، حيث حدد زمان ومكان المعركة والذي كان في السهل الواقع بين تلمسان ووهران، وقد كتب له الانتصار فيها، ثم تحول إلى سهول المغرب الأقصى، ومضى يخضع فاس أولا، ثم مدينة مراكش بعد محاصرات طويلة فتم له الإستلاء عليها في ربيع عام 541 هـ / 1147 م

برزت إستراتجية عبد المؤمن خلال هذه الفترة بمحاولة السيطرة على المغرب الأوسط من تلمسان إلى وهران والعمل على تطويق المرابطين بالمغرب الأقصى لقطع الطريق أمامهم شمالا حتى لا يلجؤا إلى الأندلس لإقامة ملك جديد لهم هناك [73]

ب ـ مربع القتال الموحدي

وهكذا فإنه كان من الطبيعي أن يتغير أسلوب القتال بتغير الأوضاع، فبعد أن أمنّ عبد المؤمن القوى الكافية لمواجهة خصمه، وبعد أن قطع على مراكش المرابطية كل الطرق، واستنزفها من كل قواها وأراضيها، لم يجد أمامه مانع من التحول من مرحلة التحصن بالجبال[74] إلى المرحلة الثانية مرحلة الهجوم واتخاذه لهذه الخطوة الحاسمة توجب عليه إيجاد خطة قتالية جديدة.

ولهذا اخترع عبد المؤمن خطة جديدة كل الجدة، لم تكن موجودة من قبل، تقوم على فكرة التربيع[75] وهي خطة المربع الموحدي، ويبدو أنه شرع في تطبيقها مباشرة بعد أن قرر الهجوم على المرابطين والنزول إلى السهول، وقد أورد لنا صاحب الحلل نصا تفصيليا نقلا عن ابن اليسع نقلا عن أحد المشاركين في المعركة عن هذه الخطة حيث يقول : " قال ابن اليسع : حدثني غير واحد من الموحدين قال : لما نزلنا من جبل تلمسان نريد بلاد زناتة، تبعنا المرابطون، فتلاقينا معهم، قال : فصنعنا دارة مربعة في البسيط، جعلنا فيها من جهاتها الأربع صفا من الرجال بأيديهم القنا الطوال،

والطوارق المانعة، ووراءهم أصحاب الدرق والحراب صفا ثانيا من وراءهم، ووراءهم أصحاب المخالي فيها الحجارة، ووراءهم الرماة بقوس الرجل وفي وسط المربعة الخيل، فكانت خيل المرابطين اذا دفعت إليهم لا تجد إلاّ الرماح الطوال الشارعة، والحراب والحجارة والسهام الناشرة، فحينما تولى من الدفع وتدبر، تخرج خيل الموحدين من طرق تركوها، وفرج أعدوها فتصيب من أصابت، فإذا كرت عليهم دخلوا في غاب القنا، وكان هذا يعرف بيوم منداس، فقد فيه من جيوش المرابطين ما لا يحصى ... " [76] ومن خلال هذا النص، وهذه الخطة الجديدة نلاحظ أن عبد المؤمن أدخل مفهوما جديدا للحرب والقتال، حيث لم يتبع الطرق القتالية المعهودة [77]، وبدت فيها مهارة عبد المؤمن في وضع الخطة الملائمة للاستفادة من إمكانيات جيشه المكون في غالبيته من المشاة الجبليين المعتادين على التربص والثبات في الأرض في القضاء على سلاح خصومه الخطر وهو الخيالة إلى أقصى حد ممكن، كما أظهر من خلالها براعة في فن تحريك القوات والتنسيق بينها خلال المعركة وطريقة تنظيمها في حالة الهجوم، كما أنه من خلال هذه الخطة يتضح أن عبد المؤمن قد استفاد من هزيمة البحيرة فمن خلال ما أورده النويري عن هذه المعركة يبدو أن قتال الموحدين كان من جهة واحدة، فتمكن المرابطون من محاصرتهم والانقضاض عليهم[78] فلهذا فإن عبد المؤمن حينما وضع خطة جديدة جعل القتال فيها من أربع جهات بناء على الشكل التربيعي.

ويبدو أن طريقة المربع هذه التي كانت متبعة في عهد عبد المؤمن ذكرت مرة واحدة فقط حين قرر عبد المؤمن مهاجمة المرابطين في المنطقة السهلية الممتدة بين وهران وتلمسان وهو ميدان مكشوف ومنبسط ملائم لتطبيقها، وعدم ذكرها في معارك أخرى لا يعني أنها كانت مجرد خطة آنية للقتال فقط، بل لأنها خطة تتطلب أرضا منبسطة ومنفسحة، وتحضيرا من كلتا الطرفين ومعناه أن الخصم يكون على استعداد لمواجهة جيش عبد المؤمن، وهذه المعطيات توفرت فعلا في الوقت الذي قرر فيه عبد المؤمن تطبيقها هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن حروب عبد المؤمن امتازت بطابع الهجوم، وفرض الحصار الشديد على المدن، وهذه الميزة لا تتلاءم وتطبيق خطة المربع القتالي.

وما يمكن أن نلاحظه كذلك على هذه الخطة أنها لم تطبق عند غيره من الخلفاء حيث لم تشر إليها المصادر، ويبدو أن خلفاء عبد المؤمن تخلوا عنها، وفضلوا تطبيق نظام القتال الخماسي.[79]

وإلى جانب خطة المربع هذه، اشتهر عبد المؤمن بتطبيق خطط وطرق أخرى في القتال ولعلّ أهمها

جـ - المباغتة (المفاجأة)

حيث تعتبر المفاجأة عنصرا قائما بذاته لما لها من التأثير المعنوي الذي يؤدي إلى إحداث الارتباك والرعب في صفوف الأعداء، ويرى القادة العسكريين في المفاجأة خطرا كبيرا على الجيش

المهاجم، إذ تجعله في ظروف لا تمكنه من استخدام قواته وموارده حسب ما يتطلبه الموقف، كما أنها تضطره إلى أن يتنازل عما قد أعده من خطط لمواجهة المعركة[80]، وكان عبد المؤمن يعتمد على أسلوب المباغتة لأغراض إستراتيجية وتكتيكية حيث يهدف إلى إضعاف قوة وعزيمة العدو وإرادته بإدخال الخوف في نفوس أفراده حتى يصبحوا غير قادرين على التحمل والمقاومة والقتال.

وكانت الجيوش الموحدية تتحرك في سرية تامة إلى الجهة المحددة وكان يعلن عن جهة غيرها ويسلك الجيش طرقا لم يعهدها في السير إلى الجهة المقصودة وقد تضطره هذه الخطة حتى المسير ليلا إن تطلب الأمر ذلك[81]، وارتبطت السرعة بعامل المباغتة ارتباطا وثيقا خلال عملية التنفيذ، وقد تجلت المباغتة كخطة حربية في فتح مدينة بجاية

د ـ أسلوب التمويه

كان عبد المؤمن كان على دراية تامة بطرق قتال خصومه وحيلهم الحربيةولهذا استعمل ضدهم أسلوب التمويه، وذلك عن طريق التظاهر بالهزيمة والتراجع واصطناع الفرار لاستدراجهم إمّا إلى مناطق تسهل فيها منازلتهم، كما فعل مع العرب في ناحية سطيف أو إلى كمائن نصبت لهم، واشتهر عبد المؤمن بنصب الكمائن في حروبه، وحرص جيش الموحدين على الالتزام بالتعليمات التي كانت تعطى له في حالة نصب الكمين واقترن مع تطبيق هذه الخطة الحربية استعمال

الطبول التي كانت تضرب إيذانا لخروج الكمين، كما حدث عند استدراج عبد المؤمن لأهل مراكش إلى الكمائن التي نصبت لهم، وأوصى أصحابه بالصبر حتى يخرج كل طامع واستعمل عبد المؤمن كذلك النار بإشعالها في القصب أو مساكن العدو، وذلك لزرع الرعب والهلع والرهبة في صفوف أعدائه[82]

هـ - أسلوب المطاردة

ويطلق عليها البعض استثمار النصر ويقصد بها عدم ترك الفرصة للجيش المنهزم بإعادة تنظيم قواته من جديد وذلك بمطاردة فلوله، وإن كان البعض يرى أن هذه الطريقة قد تعطي للعدو شجاعة اليائس لإنقاذ حياته[83]، فإن عبد المؤمن كان يرى عكس ذلك، ففي نظره عدم مطاردة العدو تمكنه من العودة مرة أخرى ويكون شوكة في جنب الجيش الموحدي فلهذا وجب إزالتها، فلهذا حرص على تطبيق أسلوب المطاردة تدعيما للانتصارات التي كان يحققها في معاركه [84]

و- مبدأ سلامة القوات

ومن أهم ما امتاز به عبد المؤمن كذلك شدة الحيطة والحذر وهذا ما يدعى بمبدأ سلامة القوات "والذي يعد حديثا من أهم مبادئ الحرب "[85]، حيث كان يقيم الزروب حول الحيوانات المرافقة للجيش لتأمينها من الحرب وخدعتها كما كان يقيم

الخنادق والأسوار حول المحلات والجيوش المحاصرة لتصعب مهاجمتهم من طرف العدو، ويضمن بذلك ميزة دفاعية [86]

10 ـ فن الحصار

من أبرز ما برع فيه الموحدون بقيادة عبد المؤمن، عملية الحصار أو التطويق حيث بلغ من التطور درجة كبيرة جعل البعض يطلق عليه فن الحصار وان عبد المؤمن كان أستاذا فيه [87]

ويعتبر الحصار من العمليات الحربية التي اعتمد عليها عبد المؤمن كثيرا في حروبه فكان جيشه يقوم بإحاطة المدن والقلاع والمواقع المحمية والمحصنة بقوات عسكرية ويحاصرها حصارا شديدا[88] بقصد إرغام المحاصرين على الاستسلام وقد عرف الجيش الموحدي هذا النوع من القتال، بعد انتقاله من مرحلة الدفاع التي ارتكزت على حرب الجبال والكر والفر إلى مرحلة الهجوم التي اعتمدت على التعرض والمبدأة [89]

وكان الموحدون يعمدون إلى اقتحام الأسوار لينفذوا منها إلى المواقع، إما بواسطة الأبراج المتحركة[205] التي يفتحون بواسطتها ثغرات في السور، أو بسلالم الحصار التي يتسلقون بواسطتها أطراف السور، هذا إضافة إلى استعمالهم أنواعا أخرى من آلات الحصار كرأس الكبش والمنجنيق والعرّادة والدبابة[90] كما استعمل عبد المؤمن كذلك الموانع المائية كمحاولة منه لاقتحام بعض المدن مثل فاس إضافة إلى هذا الحصار البري، تظهر براعة عبد المؤمن كذلك

في الحصار البحري، حيث كان أسطوله يقوم بإحاطة شواطئ العدو بسفن حربية بهدف عزل موانئها ومنع السفن من ارتيادها وحرمانها من الإمدادات التي يمكن أن تصل إليها، ويظهر ذلك جليا في حصار مدينة المهدية الذي سيأتي الحديث عنه في الفصل الرابع، ولعبت عمليات الحصار دورا هاما في حروب عبد المؤمن حيث حرص كثيرا على تطبيقها كعملية من العمليات الحربية إدراكا منه أن الانتصار الحاسم يكتسب عندما تطوق القوات جيش العدو تطويقا تاما وتجبره على الخضوع والاستسلام لأن هذه العملية في فن الحرب هي أسرع وأسهل وسيلة للقضاء على العدو، حيث تجعله في وضع ذليل لا يستطيع الخروج منه إلاّ بالتسليم والخضوع[91]

وقد تفوق عبد المؤمن تفوقا كبيرا في الحصار، حيث كانت أمنع المدن تتحطم أمام آلات حصاره ويعود ذلك إلى سياسة النفس الطويل التي اتبعها في ذلك، حيث كانت عمليات الحصار تستغرق مدة طويلة تصل حتى تسعة أشهر، وخلال هذه المدة، أقام عبد المؤمن بعض المنشآت الضرورية من مدينة وسور ومسجد ليوفر كل الوسائل والمعدات لجيشه أثناء عملية الحصار[92]

وتظهر براعة عبد المؤمن كأستاذ في فن الحصار، من خلال طريقته في توجيه الفرق العسكرية لمحاصرة المدن والقتال على جبهات متعددة، مما يدل على قدرات قادته المعينين على رأس الجيوش المحاصرة، وكان يلجأ إلى بعض الطرق والوسائل والحيل أثناء عملية الحصار لتسهيل هذه المهمة ومن أهمها :

- انتهاج أسلوب الأمان الذي كان يمنحه لبعض الأفراد المتواجدين داخل المدن المحاصرة، والذين أبدوا رغبتهم في الاستسلام له ودخوله المدينة شريطة تأمين حياتهم
- استعمال أسلوب التجويع بقطع المؤن من زرع وأقوات، ومياه الشرب لإنهاك سكان المدن وإجبارها على الاستسلام[93]

وإلى جانب فن الحصار، أظهر عبد المؤمن، براعة في بعض المواقف العسكرية والتي كرست المفهوم الحقيقي للإستراتجية، ويظهر ذلك جليا من خلال :

- كتمان السر في بعض العمليات الحربية، لأنه كان يدرك أن المخطط المبهم تتحد أبعاده الصحيحة فيما بعد، خلال العمل، وقد قام بتطبيق هذه الخطة حين عزم على مدينة بجاية
- اختيار موقع المعركة، وذلك أن قدرا كبيرا من نجاح القائد يتوقف على مهارته في اختيار مواقعه بحيث يكون جيشه في موقع حصين، ويضمن سلامته في حال الدفاع والهجوم[94]، ولم يغفل عبد المؤمن عن تلك الحقيقة المهمة.

حيث يظهر ذلك جليا حين استغل طبيعة الأرض الممتدة بين وهران وتلمسان، فأسند ظهر قواته إلى جبال تلمسان، وكلف قواته بتطبيق خطة المربع القتالي، وجعل ميدان المعركة في السفح المنبسط أمامه، وكذلك حين اختار منطقة سطيف ميدانا مناسبا لخوض معركة ضد العرب.

كما أنه إذا جئنا للمقارنة، بين المفهوم العصري للإستراتجية العسكرية، وبين ما قام به عبد المؤمن من عمليات تحريك الجيوش الموحدية على مختلف الجهات، لتبين كم كان هذا الرجل بارعا في مجال الإستراتجية العسكرية، فبعد ارتداد عدد من القبائل عن الدولة الموحدية[95]، وكانت حركة الارتداد هذه من الخطورة بحيث أنها هددت إلى حد كبير وبجدية متناهية مصير الدعوة الموحدية، وكان تحرك عبد المؤمن تجاه هذه الحركة في مستوى الحدث الخطير فجيش عدد كبير من القوات وعلى رأسها قادة أكفاء [96]، وأخذ يبعث هذه القوات التي انتقلت إلى قتال المرتدين في مختلف الجهات بسرعة وبراعة لا مثيل لهما، كأنما هو يقرأ في خريطة واضحة المعالم، حيث كان على دراية بمضارب القبائل المرتدة فحدد مكانها، ووجه إلى كل واحدة منها القوة الملائمة والكافية لردعها، وكان لحنكته ودرايته وما تمتع به من حس مرهف في تقدير الموقف العسكري، وكذلك لعبقريته في تحريك القوات، وفقا للوضع العسكري القائم، الفضل الأول والأكبر في صمود الدعوة الموحدية وانتصار الموحدين.

وهكذا من خلال ما أوردته في هذا المقال يتبين قدرة عبد المؤمن على تسيير جيوشه إلى الحرب، وبعث الأوامر لقادته وتحريك القوات من إقليم لأخر وفي رسم الخطط الحربية نظريا، وتطبيقها ميدانيا على أرض الواقع، مظهرا بذلك سرعة ودراية فائقتين، مما يؤكد عمق إدراكه لمفهوم الإستراتجية العسكرية وتطبيقها له.

كما يتبين أن الإستراتجية فن عرفه عبد المؤمن وطبقه ببراعة، وإن لم يسمى باسمه الحديث

الهوامش :

(1) جان غيتون، الفكر والحرب، تر الهيثم الأيوبي، أكرم ديري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1980، ص 9

(2) ليدل هارت، الإستراتيجية وتاريخها في العالم، تر الهيثم الأيوبي، ط1، دار الطليعة، بيروت 1967، ص 399 الموسوعة العسكرية، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1985، ج 1، ص 67

(3) أكرم ديري، آراء في الحرب (الإستراتيجية وطريقة القيادة) ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981، ص 27

(4) - مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، نشر ليفي بروفنسال، المطبعة الإقتصادية، الرباط، 1941، ص 111، ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن محمد)، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهما لله أئمة، وجعله الوارثين، وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين، وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين تح، عبد الهادي التازي، ط 1، دار الأندلس، بيروت، 1964، ص 134، المراكشي (عبد الواحد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963، ص 294-295، ابن الأثير (عزّ الدّين أبو الحسن، الكامل في التّاريخ، دار صادر، بيروت، 1966 ج 11، ص 245، النويري (أحمد بن عبد الوهاب)، تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط " من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب " تح مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د ـ ت، ص 425، تاريخ المغرب وحضارته، ط 1، العصر الحديث للنشر والتوزيع لبنان 1992، ج 2، ص

(5) أنظر الكامل في التاريخ، ج 11، ص 75، ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تج، محمد شمام، ط3، المكتبة العتيقة، تونس 1967، ص 84، محمد الفاسي، دراسات مغربية، ط 2، الدار البيضاء، 1990، ص 9، 10

عز الدين موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، 1983، ص15-16، حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، مكتبة الخانجي، مصر، 1980، ص310

(6) حيث طلب من ابنه محمد مراسلة شيوخهم يخبرهم أن آسراهم من النساء والأولاد تحت الحفظ والصون، ويطلب حضورهم لمراكش لتسلمهم، وبعد حضورهم، ردّ لهم عبد المؤمن ما وعدهم به، زيادة على الهبات المالية، ويظهر هذا فور انتقاله إلى سلا ليشيع كبراء العرب هؤلاء عند عودتهم إلى بلادهم، يقول ابن عذارى أنه كان " في نفسه أن يربط العهد الميمون الطاهر، فلما وصل سلا، انعقدت البيعة لإبنه محمد "، هكذا إذن تعمد عبد المؤمن أن يستعين بالعرب كحلفاء، من أجل تثبيت السلطة في عقبه، رغم ادعائه عكس ذلك، أنظر مجموع رسائل، ص 57-58، ابن عذارى المراكشي البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين، تح، محمد ابراهيم الكتاني، محمد زنيبر، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة، ط 1. دار الغرب الإسلامي، دار الثقافة، بيروت، الدار البيضاء، 1985، ص49، الكامل في التاريخ، ج 11، ص 186، 211، النويري، ص418-419، مصطفى بنسباع، السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصر المرابطين والموحدين، ط 1 كلية الآداب، تطوان، 1999، ص 75

(7) جان غيتون، الفكر والحرب، ص 9

(8) البيدق (أبوبكر بن علي)، كتاب أخبار المهدي بن تومرت. تح عبد الحميد حاجيات. ط2، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 108، 109 الكامل في التاريخ، ج 11، ص 185-186، 246، مجموع رسائل، ص 111، عبد الله علام، الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر 1971، ص 235، جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في

العصور الوسطى تر، محمد عبد الحميد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ـ ت، ص 299

(9) انظر مصطفى ابو ضيف، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري المرابطين والموحدين، ط 1، دار النشر المغربية الدار، البيضاء 1982 ص 84 وما بعدها، عز الدين موسى، دراسات في تاريخ المغرب، ص 16، روجي ليتورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12 و13، تر، أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1982، ص69-70 وعبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط 1 لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1964، ج2، ص635

(10) عن موضوع الاعراب بين مفاسدهم ومزاياهم، انظر محمد الفاسي. دراسات مغربية، ص 9-10، عبد العزيز بن عبد الله، " وحدة المغرب العربي مظاهرها السلالية واللغوية والفكرية" تطوان العدد1، 1956، ص 59-60

(11) هو عبد الله بن يعلي أو يعلاتن الزناتي من أهل العشرة، كان من كبار أعوان المهدي، إرتد عن الموحدين بعد إعلان عبد المؤمن الخلافة، وانظم إلى صفوف المرابطين، ونهض إلى تينملل ليهدمها، لكن زعماء جنسيفة قضوا عليه وقتلوه ثم صلبوه سنة 527 هـ، أخبار المهدي، ص 107-109، نظم الجمان، ص 121

(12) ينتمي إلى قبيلة هسكورة، وهو من أهل خمسين، ولا يعرف الكثير عن ثورته، وقد وجه إليه عبد المؤمن رسالة محاول استمالته وعارضا عليه العفو الخليفي، ولم يرد بعد ذكر له هل عاد إلى صف الموحدين أم تم القضاء عليه- مصطفى بنسباع، نفس المرجع، ص 76-77

(13) عبد العزيز وعيسى هما أخوا المهدي، أما يصلاتن فإبن عمهم حيث إرتد يصلاتن في أول الأمر، وقام عبد المؤمن بتصفيته، أما عيسى وعبد العزيز وبعد تعين محمد وليا للعهد ثار بمراكش في وقت غياب الخليفة، لكن قضى عليهم

من طرف الاهالي، وبعد وصول عبد المؤمن قضى على كل اتباعهم - اخبار المهدي، ص112-114, 108-109، البيان الموحدي ص 48، 50-51

(14) انظر روض القرطاس، ص 184، البيان الموحدي ص 36, 38, 69، (عبد الرحمن بن محمد)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني 1968 العبر، ج 6، ص 487، 478، بوزياني الدراجي، العصبية القبلية واثرها على النظم والعلاقات في المغرب الاسلامي ق6و 7 هـ، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1987-1988، ج2، ص 423

(15) اخبار المهدي، ص81، 94-95، 108-109، 112-113 البيان الموحدي، ص28، مجموع رسائل، ص37 وما بليها، ابن القطان (أبو علي حسين)، نظم الجمان، تح محمود علي مكي، كلية الآداب، تطوان، د ـ ت، ص156-157

(16) بوزياني الدراجي، العصبية القبلية، ج2، ص427

(17) الكامل في التاريخ، ج 11، ص 211-212، روض القرطاس، ص194، 202، العبر، ج 6، ص 491-492

الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح، جعفر الناصري محمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954 ج 2، ص 132 وشارل اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تر، محمد مزالي والبشير سلامة الدار التونسية، تونس، 1979، ص 139، عبد الله علام، الدولة الموحدية ص 226

(18) انظر البيان الموحدي، ص51 ، عز الدين موسى، الموحدون في الغرب الاسلامي، ص 249، عبد الله علام، الدعوة الموحدية، ص 198-199

(19) المن بالامامة، ص 215-216، نظم الجمان، ص 26-27، حيث كان عبد المؤمن يحج الى قبر المهدي حين يعتزم او يظطلع بعظائم الامور، وتعتبر حركة مباركة وعنوان التشجيع ولتليمن، لهذا حرص الخلفاء بعده على القيام بها

(20) المراكشي (أبو عبد الله محمد) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، د ـ ت ج 1، ص169_168

(21) انظر على سبيل المثال ماحدث بينه وبين ابن قسي الذي ادعى المهدية عند ابن الآبار الحلة السيراء، (أبوعبد الله محمّد) الحلة السّيراء، تح حسين مؤنس، ط1، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة 1963 ص 197-199، المعجب، ص. 281.

(22) نظم الجمان، ص28

(23) مجهول، المقتبس من كتاب الأنساب (من كتاب أخبار المهدي بن تومرت وإبتداء دولة الموحدين) نشر ليفي بروفنسال، باريس 1928، ص 47-48

(24) نظم الجمان، ص 128، الكامل في التاريخ، ج 11، ص 242

(25) انظر الرسائل التي وجهها عبد المؤمن لهذا الغرض في مجموع رسائل، ص 6-7, 17-21, 24 ; 35 -34 111، الكامل في التاريخ، الجزء والصفحة السابقين

(26) هو ابو زكريا يحي ابن علي بن غانية، وغانية اسم امه، كان حاكما على شرق الاندلس، وكان له دورا كبيرا في محاربة النصارى بالاندلس ولهذا عمل عبد المؤمن على استمالته توفي سنة543 هـ/ 1148 م مجموع رسائل موحدية، ص 6، ابن الخطيب، (لسان الدّين أبوعبد الله محمّد) الإحاطة في أخبار غرناطة، تح عبد الله عنان، دار المعارف، مصر، د ـ ت، ص 306،

Bel (A), Les Banou Ghanya, Paris, 1903, P1, 14

(27) والمقصود هنا هو محمد بن سعد ابن مردنيش، احد الثائرين بالاندلس، بعد سقوط دولة المرابطين حيث طلب المدد من المسيحيين ضد الموحدين، ويقال انه اسباني الاصل وليس عربي، توفي سنة 576 هـ /1172 م، وكان يملك من القوة ما جعل عبد المؤمن يعمل على استمالته - مجموع رسائل، ص 35، الحلة السيراء، ص 220 ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام. (تاريخ إسبانيا الإسلامية). تح وتع، ليفي بروفنسال. ط2، دار المكشوف، لبنان، 1956 م، ص 261

(28) انظر اخبار المهدي، ص 74-75 ,94-95، 101-105 المعجب، ص 273 ,275، 297، المن بالامامة، ص 166-167، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 581-582، ابن السماك العاملي : الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تح، عبد القادر بوباية ص 153، البيان الموحدي، ص 28، 51، ، 55، 52 العبر، ج6، ص 484 يوسف آشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين تر، عبد الله عنان، ط 2، القاهرة، 1958، ص 304

(29) جان بيريه، الذكاء والقيم المعنوية في الحرب، تر اكرم ديري، الهيثم الايوبي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981، ص89

(30) تختلف الروايات حول نشأة هاذين التنظيمين، ودور كل منهما، ويرجع هذا الاختلاف إلى اضطراب المادة الواردة في المصادر حول موضوع تنظيمات الموحدين وطبقاتهم، فالطلبة في حقيقة الأمر تنظيم يعود إلى أيام المهدي، ويشكلون الطبقة الرابعة من نظام الطبقات وسميوا بهذا الاسم لطلبهم للعلم الذي اقتصر على فقه ابن تومرت، وكان عددهم كبيرا وبعد أن رباهم ابن تومرت تربية خاصة، وفق ما تقتضيه أهدافه، بثهم بين القبائل لتدعو إلى أمره ممثلة بذلك للمذهب الجديد، هذا إضافة إلى اشتراكهم في الحملات العسكرية، وفي عهد عبد المؤمن أصبح لهم دورا ومكانا سياسيا واجتماعيا في الدولة، وما يدل على ذلك الرسائل الرسمية التي كانت تبعث لهم في شتى المناسبات. وكان دورهم غالبا في المجال العسكري، هذا إضافة إلى دورهم الدعائي لأعمال الدولة ووظيفتهم الإصلاحية من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، إلاّ أن مسؤولياتهم، بدأت تتحول إلى ثانوية، خاصة بعد إعلان الحكم الوراثي، أما المسؤوليات الكبرى تولاها نمط جديد من الطلبة يدعون الحفاظ. والحفاظ يحصرهم صاحب كتاب الأنساب في قبائل الموحدين، أما صاحب الحلل الموشية يذكر أن هؤلاء الصبية كانوا من المصامدة وغيرهم وقد جاءت كلمة حافظ من حفظ موطأ ابن تومرت وعقائده، ويدعوهم ابن القطان

بصغار الطلبة. ويرى عز الدين موسى أن هذا التنظيم (الحفاظ)، إنما من تكوين عبد المؤمن واحتمال تاريخ قيامه سنة 550 هـ / 1155 م. بإعتبار أن أبناء عبد المؤمن كانوا بين هؤلاء الحفاظ، وأنهم لما أتموا دراستهم، ولاّهم والدهم الولايات في ربيع الأول 551 هـ / 1156 م [70] _ نظم الجمان، ص28، 87، اخبار المهدي، ص 60، مجموع رسائل، ص 1, 5, 10, 22, 47, 61, 95, 99, 113, 121, 126, 68, 71, 93. روض القرطاس، ص 176-177، المن بالامامة، ص 208، 294، 299، الحلل الموشية، ص 150، الاستقصاء، ج 2، ص 92، المقتبس من كتاب الانساب، ص 48، عز الدين موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي (تنظيماتهم ونظمهم)ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص 97، 98

(31) وفي هذا الشأن يحدثنا صاحب الحلل فيقول : " ... ووفق الحفاظ لحفظ كتاب الموطأ هو وكتاب أعز ما يطلب، وغير ذلك من تواليف المهدي، وكان يدخلهم كل يوم جمعة بعد الصلاة، فيجتمع الحفاظ فيه، وهم نحو ثلاثة آلاف كأنهم أبناء ليلة واحدة من المصامدة وغيرهم قصد بهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريده، فيأخذهم يوما بتعليم الركوب ويوما بالرمي بالقوس، ويوما بالعوم في بحيرة صنعها خارج بستانه مربعة طول تربيعها نحو ثلاثمائة باع، ويوما يأخذهم بأن يجدفوا على قوارب وزوارق صنعها لهم في تلك البحيرة، فتأدبوا بهذه الآداب، تارة بالعطاء، وتارة بالأدب، وكانت نفقتهم، وسائر مؤونتهم من عنده وخيلهم وعدتهم كذلك " - الحلل الموشية، ص 150-151، شارل اندري جوليان، تاريخ افريقيا، ص 140

(32) جان بيريه، الذكاء والقيم المعنوية في الحرب، ص 89

(33) حيث تشير اليهم الروايات فيما بعد، انظر المقتبس من كتاب الانساب، ص 48، مجموع رسائل موحدية، ص 132. المن بالامامة، ص 400، نظم الجمان، ص 132، 139، 140، محمد المنوني حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء 1989، ص 25، آشباخ، تاريخ الاندلس، ص 302

(34) نظم الجمان، ص 132، 137، البيان الموحدي، ص 81، الحلل الموشية، ص 151 المن بالامامة، ص 126, 127; 336, 182, 337; 392, 390، مجموع رسائل، ص 132، آشباخ، نفس المرجع، ص 302، 492، عنان، عصر المرابطين والموحدين، ج1، ص 402-403، المنوني، نفس المرجع، ص 21، احمد الحسيسن، مظاهر النهظة الحديثة في عصر يعقوب المنصور، الرباط، 1982، ج1، ص-42 41، العبادي أحمد مختار، دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين، مجلة تطوان، العدد 5، 1960، ص157

Deverdun, Marrakech des origines a 1912, édition Technique , Nord Africaines, Rabat, 1959. p169-1970

(35) مجموع رسائل موحدية، ص 2 اخبار المهدي، ص84، 102 نظم الجمان، ص 82-83, 84، 138-139 226، المن بالامامة، ص 132-135, 139، 193 214العبر، ج6، ص 260، 490، المعجب، ص 426، عبد الله علام، الدولة الموحدية، ص 262، عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص 636، صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي (موحد بلاد المغرب) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1991، ص 79

(36) اكرم ديري، آراء في الحرب، ص 13

(37) حسن علي حسن، الحضارة الاسلامية، ص 417

(38) المن بالامامة، ص 197 البيان الموحدي، ص 42

(39) اختلف مفهوم التعبئة في القديم والحديث، فعند المؤرخين القدامى كان يقصد بها تنظيم الجيوش وصف الكتائب في المعركة او قبلها، فتعبير عبأ مساو عندهم لتعبير نظم، اما في الاصطلاح الحديث معناه حصر كل القوى الموجودة في الدولة وقت الحرب، وعمل مقارنة بين الجيش المقاتل وكفاية المواد اللازمة له استعدادا للقتال - عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص 206.

(40) المن بالامامة، ص 219، عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، (عصر الطوائف الثاني) ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988، ص 147

(41) حيث يقول ابن أبي زرع : " وفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، خرج أمير المؤمنين من مراكش إلى الأندلس برسم الجهاد فوصل إلى رباط الفتح فكتب إلى جميع بلاد المغرب والقبلة وإفريقية والسوس، وجميع القبائل يستنفرهم إلى الجهاد، فأجابه خلق كثير، فاجتمع له من عساكر الموحدين والمرتزقة من قبائل المغرب وقبائل زناتة أزيد من ثلاثمائة ألف فارس، ومن جيوش المطوعة ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل، فضاقت بهم الأرض ... " روض القرطاس، ص200، 202، انظر كذلك البيان الموحدي، ص 61، الاستقصاء، ج 2، ص 143-144، ابن ابي الدينار المؤنس، ص 117.

(42) الحلل الموشية، ص 148

(43) فرج محمد، العبقرية العسكرية، ص 178

(44) في هذا الإطار يحدثنا شاهد عيان فيقول : " وأن أمير المؤمنين ... نظر لله تعالى، وجدد عزمه وحزمه ... في غزو الروم بجزيرة الأندلس ... وأضمر غزوة عظمى برّا وبحرا ... فأمر بإنشاء القطائع في سواحل العدوة والأندلس ... وأعد من القمح والشعير للعلوفات والمواساة للعساكر على وادي سبو ... ما عاينته مكدسا كأمثال الجبال، بما لم يتقدم لملك قبله ولا سمعنا به في جيل من الأجيال، بقي في ذلك الموضع معدا من عام سبعة وخمسين إلى عام اثنين وستين وخمس مائة حتى فني في أكداسه وعاد ترابا ورمادا باحتراقه بعضه في بعض وإفساد الزمان له ... ونظر ... في استجلاب الخيل له من جميع طاعته ... وانتخاب الأسلحة ... إلى غير ذلك من الثياب "_ابن صاحب الصلاة المن بالامامة، ص197، 201_202، 213، 215، 310_311، 418، أنظر كذلك روض

القرطاس، ص 198، 201، النويري، ص 421، الكامل في التاريخ، ج 11، ص 241، الاستقصاء، ج 2، ص 143-144

(45) الكامل في التاريخ، نفس الجزء والصفحة

(46) اخبار المهدي، ص 93. وقد حرص الموحدون على استعمال القبة الحمراء في سائر المناسبات العظيمة ولاشك انه تقليد منهم لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم –عبد الهادي التازي، المن بالامامة، ص 493، تعليق رقم 3

(47) نظم الجمان، ص 114، 102-104، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 573-576، وفيات الاعيان، ج4 ، ص 143-144

(48) المعجب، ص 270

(49) أخبار المهدي، ص 90، نظم الجمان، ص 123، 226، البيان الموحدي، ص 23

(50) نظم الجمان، ص 28، الحلل الموشية، ص 109

(51) البيان الموحدي، ص 69-70

(52) الاحاطة في اخبار غرناطة، ص 223-224، الحلل الموشية، ص 155

(53) مجموع رسائل، ص 32

(54) دور هذا الطبل خمسة عشر ذراعا أي يبلغ قطره أكثر من 2.30 م –الحلل الموشية، ص 52، رشيد بورويبة عبد المؤمن بن علي، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر 1976، ص 74.

(55) المعجب، ص 427

(56) المن بالإمامة، ص 438 البيان الموحدي، ص 118

(57) وهو الذي كان عند الناصر عبد الرحمان من خلفاء بني أمية بالأندلس، وكان في زمن عبد المؤمن في جامع قرطبة، فبعث إليه، وجيء به وانفق عليه أموالا عظيمة، ووضع له تابوتا عجيبا وغلفه بغلاف صفائحه من الذهب، ورصعه بالياقوت الذي هو على شكل حافر الفرس، وفيه الدرر النفيسة والزمرد، ولما أكمله صنع له هودج، على الهودج أربع علامات – الحلل الموشية،

ص 153، الذيل والتكملة، ج 1، ص 168-169، المنوني تاريخ المصحف الشريف بالمغرب، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، المجلد 15، ج1، 1969، ط 2، 1998، ص 17-18

(58) نظم الجمان، ص 127، الحلل الموشية، ص 152-153

(59) وهذه الديار على الترتيب كالآتي : دار بوادي تانسفت على بعد 3 أميال من حضرة مراكش، دار بدشر الحطابة، دار بتونين، دار بتوقطين، دار بالقرب من القنطرة المقامة على وادي أم الربيع، دار بالجيسيل، دار بوادي وسنات، دار بالمهدية - المن بالإمامة، ص 217، 441-446

(60) المن بالامامة، ص 197 217 ,218، الحلل الموشية، ص 152، 153، آشباخ نفس المرجع، ص 306

(148) الموسوعة العسكرية، ج 1، ص 119

(61) فرج محمد، العبقرية العسكرية، ص172، 174، اكرم ديري، آراء في الحرب، ص 6، الموسوعة العسكرية ج1، ص 120

(62) انظر مجموع رسائل موحدية، ص104 اخبار المهدي، ص 89 ,108، نظم الجمان، ، ص 211، 219، البيان الموحدي، ص 15، ، 23، 55، الحلل الموشية، ص 133

* الرقاص في الاصطلاح الاندلسي والمغربي هو حامل البريد، ويذكر البيدق انه كان يقوم بهذه الوظيفة وهو الذي ابلغ هزيمة البحيرة الى ابن تومرت - اخبار المهدي، ص50، نظم الجمان ،، ص 122.

Dozy, Supplément Au Dictionnaires Arabes, 2 eme édition, Leide, Brill, Paris, 1927. T1, P, 547

(63) المن بالامامة، ص 129، توفيق مزاري عبد الصمد، التنظيمات العسكرية المغربية على عهدي المرابطين والموحدين (رسالة ماجستير) قسم التاريخ، جامعة الجزائر 1999-2000، ص 145

(64) الموسوعة العسكرية، ج2، ص 119

(65) روجي ليتورنو، حركة الموحدين، ص 61، اكرم ديري، آراء في الحرب، ص 13، جان غيتون، الفكر والحرب، ص 105

(66) الحلل الموشية، ص 131، البيان الموحدي، ص 17، جوليان، تاريخ افرقيا ص 135

(67) اخبار المهدي، ص 56

(68) اخبار المهدي، ص 75, 78، الحلل الموشية، ص 130، البيان الموحدي، ص 17-16، روض القرطاس، ص 187

(69) ابتدا بالاطلس الاعلى، ثم الاطلس الاوسط، ثم الريف، واخيرا السلسلة الجبلية الواقعة جنوبي تلمسان، انظر اخبار المهدي، ص 75-82، روض القرطاس، ص 186، العبر، ج6، ص 473-474.

(70) اخبار المهدي، ص 75-78، الحلل الموشية، ص 130، البيان الموحدي، ص 15-16، روض القرطاس، ص 187، احمد بدر، تاريخ المغرب والاندلس، المطبعة الجديدة، دمشق، 1970، ص 239

(71) حركة الموحدين، ص 61،

Terrasse (H), Histoire Du Maroc, , Des Origines à Etablissement De Protectorat Français Edition Atlantide, Casa Blanca P, 248.

(72) من خلال ما رواه البيدق، يبدوا انه قلما وجد الموحدون مقاومة من جانب القبائل الجبلية بل على العكس من ذلك فان معظم تلك القبائل لم تجد من الصعب عليها اعتناق مذهب التوحيد -اخبار المهدي، ص79, 80, 81،

Terrasse, op.cit, p 284-285

(73) اخبار المهدي، ص 82، نظم الجمان، ص 211، روجي ليتورنو، المرجع السابق، ص 62-63، توفيق مزاري عبد الصمد، التنظيمات العسكرية ص 219

(74) Terrasse, op, cit, p, 285.

(75) يبدو ان ظاهرة التربيع هذه لم تقتصر على المجال الحربي فقط، بل تعدتها الى مجالات اخرى كالسكة، الطبول، البحيرة المربعة اتي انشاها عبد المؤمن للتدريب العسكري البحري، ويرى الدكتور صالح بن قربة ان التربيع في السكة والمجال الحربي انما يدخلان في نظم الحكم عند الموحدين، فالاول

يعتبر أساس النظام الاقتصادي والثاني أساس النظام القتالي - المسكوكات المغربية على عهد الموحدين والحفصيين والمرينين خلال القرون 6 ,7 ,8 هـ (دكتواه دولة)، قسم الآثار جامعة الجزائر 1994-1995، ج 1، ص 40

(76) الحلل الموشية

(77) كنظام القتال الخماسي الذي كان معتمدا في حروب المسلمين، ويتكون من مقدمة، جناحين قلب وساقةعبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص 238.

(78) احمد بدر، تاريخ المغرب والاندلس، ص 239

(79) روض القرطاس، ص 226

(80) فرج محمد، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، ص 180

(81) البيان الموحدي، ص 76، 115، اخبار المهدي، ص 91، نظم الجمان، ص 196، ص 220، الحلل الموشية، ص 148, 149، الكامل في التاريخ، ج 11، ص 158

(82) اخبار المهدي، ص 108، البيان الموحدي، ، 21، 27، نظم الجمان، ص 211، الكامل في التاريخ، نفس الجزء، ص 180، ج 10، ص 583، العبر، ج 6، ص 491

(83) ياسين سويد، الفن العسكري، ص 158، ليدل هارت، الاستيراخية وتاريخها في العالم، ص 14

(84) مجموع رسائل، ص 11-12.

(85) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص 209

(86) البيان الموحدي، ص 24، نظم الجمان، ص 117، الحلل الموشية، ص 136

(87) آشباخ، نفس المرجع، ص 309, 489

(88) اخبار المهدي، ص 93، المعجب، ص 271، البيان الموحدي، ص 20

(89) التعرض او المبداة معناه الهجوم، وهذا الاخير خير وسيلة للدفاع، والقيام به يعطي الثقة التامة للقوات المحاربة، ويمنح فرص احراز النصر، عبد الرؤوف عون، المرجع السابق، ص 184

(90) مجموع رسائل، ص 105, 106، اخبار المهدي، ص 79, 94، البيان الموحدي، ص 25-27، ص 62، روض القرطاس، ص 198، النويري، ص 408-410، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 584

(91) عبد الرؤوف عون، المرجع السابق، ص 188

(92) اخبار المهدي، ص 92، الحلل الموشية، ص 135-136، 137-138، البيان الموحدي، ص 27، المعجب، ص 299-300

(93) البيان الموحدي، ص 20-22 24-25، 62، العبر، ج 6، ص 478-479، اخبار المهدي، ص 93، المعجب، ص 299-300، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 584-583، 585، الحلل الموشية، ص 138.

(94) عبد الرؤوف عون، المرجع نفسه، ص 219.

(95) ومن اهم هذه الحركات، ثورة الماسي، وثورة اهل بر غواطة، وعند هاتين الثورتين انظر اخبار المهدي، ص 97-101، البيان الموحدي، ص 30-31، العبر، ج 6، ص 479-480، روض القرطاس، ص 190، الحلل الموشية، ص 146، الاستقصاء، ج 2، ص 110

(96) كالشيخ ابا حفص ويصلاتن وعبد الله بن سليمان ...الخ، انظر اخبار المهدي، ص 99-100

قائمة المصادر والمراجع المعتمد عليها :

1. ابن الأبار. (أبوعبد اللّه محمّد) توفي 658 هـ / 1259 م

الحلة السّيراء، تح حسين مؤنس، ط1، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة 1963.

2. ابن الأثير (عزّ الدّين أبو الحسن) توفي 630هـ / 1232م

الكامل في التّاريخ، دار صادر، بيروت، 1966

3. أحمد بدر، تاريخ المغرب والاندلس، المطبعة الجديدة، دمشق، 1970

4. أحمد مصطفى أبو ضيف، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري المرابطين والموحدين، ط 1 دار النشر المغربية الدار البيضاء 1982.

5. آشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين تر، عبد اللّه عنان، ط 2، القاهرة، 1958.

6. بنسباع مصطفى، السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، ط 1 كلية الآداب، تطوان، 1999.

7. بورويبة رشيد، عبد المؤمن بن علي، وزارة الإعلام والثقافة. الجزائر، 1976.

8. بوزياني الدراجي، العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي من القرن 6 هـ إلى القرن 7 هـ (رسالة ماجستير) قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1987 – 1988.

9. البيدق (أبوبكر بن علي) توفي أواخر القرن 6هـ.

كتاب أخبار المهدي بن تومرت. تح عبد الحميد حاجيات. ط2، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

10. بيريه جان، الذكاء والقيم المعنوية في الحرب، تر، أكرم ديري والهيثم الأيوبي ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1981

11. توفيق مزاري عبد الصمد، التنظيمات العسكرية المغربية في عهدي المرابطين والموحدين (رسالة ماجيستير) قسم التاريخ، جامعة الجزائر 1999 –2000.

12. جوليان شارل أندري، تاريخ افريقيا الشمالية، تر، محمد مزالي والبشير سلامة الدار التونسية، تونس، 1979.

13. حسن علي حسن. الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، مكتبة الخانجي، مصر، 1980.

14. الحسيسن أحمد، مظاهر النهضة الحديثة في عهد يعقوب المنصور د ـ ن، الرباط 1982.

15. ابن الخطيب (لسان الدّين أبوعبد اللّه محمّد) توفي 776 هـ /1374م **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح عبد اللّه عنان. دار المعارف، مصر، د ـ ت.

16. أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام. **(تاريخ إسبانيا الإسلامية)**. تح وتع، ليفي بروفنسال. ط2، دار المكشوف، لبنان، 1956 م.

17. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) توفي 808 هـ / 1405 م. **العبر** وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر دار الكتاب اللبناني 1968.

18. دندش عصمت، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين. (عصر الطوائف الثاني) ط 1، دار الغرب الإسلامي بيروت 1988.

19. ديري أكرم، آراء في الحرب الاستراتجية وطريقة القيادة ط 2، المؤسسة العربة للدراسات والنشر، بيروت 1981.

20. ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد) توفي بعد 1110 هـ / 1698 م. **المؤنس في أخبار افريقيا وتونس**، تح محمد شمام، ط 3، المطبعة العتيقة، تونس، 1967.

21. ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله) توفي 626 هـ / 1325 م **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** بدون إسم المحقق، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973

22. ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن محمد) توفي 594 هـ / 1197 م **تاريخ المن بالإمامة** على المستضعفين بأن جعلهما لله أئمة، وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين، وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين تح، عبد الهادي التازي، ط 1، دار الأندلس، بيروت، 1964.

23. العبادي أحمد مختار، دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين، مجلة تطوان، العدد 5، 1960.

24. ابن عذارى المراكشي كان حيا سنة 712 هـ .

البيان المغرب (قسم الموحدين) تح، محمد ابراهيم الكتاني، محمد زنيبر، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة، ط 1. دار الغرب الإسلامي، دار الثقافة، بيروت، الدار البيضاء، 1985.

25. علام عبد الله علي الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي دار المعارف، مصر 1971.

26. عنان عبد الله، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط 1 لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1964.

27. غيّتون جان، الفكر والحرب، تر، الهيثم الأيوبي، أكرم ديري، المؤسسة العربية للدراسات العربية والنشر، بيروت 1980.

28. الفاسي محمد، دراسات مغربية، ط 2، الدار البيضاء، 1990.

29. ابن القطان (أبو علي حسين) توفي القرن 7 هـ.

نظم الجمان، تح محمود علي مكي، كلية الآداب، تطوان، د ـ ت.

30. بن قربة صالح، عبد المؤمن بن علي (موحد بلاد المغرب) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1991.

31. المسكوكات المغربية على عهد الموحدين والحفصين والمرينيين خلال القرون 6، 7، 8 هـ، دكتوراه دولة قسم الآثار، جامعة الجزائر، 1994 - 1995.

32. ليتورنو روجي، حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12 و13، تر، أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1982.

33. ليدل هارت (ج. ل)، الإستراتجية وتاريخها في العالم، تر، الهيثم الأيوبي ط 1، دار الطليعة، بيروت، 1967.

34. مارسيه جورج، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى تر، محمد عبد الحميد هيكل، منشأة المعارف الإسلامية، الإسكندرية، د ـ ت.

35. **جموع رسائل موحدية** من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية. نشر ليفي بروفنسال، المطبعة الإقتصادية، الرباط، 1941.

36. مجهول (مؤلف أندلسي من القرن 8 هـ)

الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح، زهيل زكار، عبد القادر زمامة، ط 1، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1979

37. مجهول

المقتبس من كتاب الأنساب (من كتاب أخبار المهدي بن تومرت وإبتداء دولة الموحدين) نشر ليفي بروفنسال، باريس 1928.

38. المراكشي (أبو عبد الله محمد) توفي 703 هـ / 1303 م.

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح محمد بن شريفة. دار الثقافة، بيروت، د ـ ت.

39. المراكشي (عبد الواحد) توفي 647 هـ / 1249 م.

المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح محمد سعيد العريان القاهرة، 1963.

40. المنوني محمد، تاريخ المصحف الشريف، مجلة معهد المخطوطات العربية جامعة الدول العربية، القاهرة، المجلد 15، ج 1 1389 هـ 1969 م، ط2، 1998 م.

41. حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء 1989

42. الموسوعة العسكرية (تقديم الهيثم الأيوبي)، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1985.

43. موسى عز الدين عمر، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1 دار الشروق، 1983.

44. الموحدون في الغرب الإسلامي (تنظيماتهم ونظمهم) ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991.

45. مؤنس حسين تاريخ المغرب وحضارته، ط 1، العصر الحديث للنشروالتوزيع لبنان 1992.

46. الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد) توفي 1315 هـ / 1896 م، **الاستقصاء** لأخبار دول المغرب الأقصى، تح، جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدارالبيضاء، 1954.

47. النويري (أحمد بن عبد الوهاب) توفي 732 هـ / 1332 م.

تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط " من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب " تح مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د. ت.

مراجع أجنبية :

1- Bel (Alfred), Les Banou Ghanya, Paris, 1903.
2- Deverdun (G), Marrakech Des Origines A 1912, Edition Technique Nord Africaines, Rabat, 1959.
3-Dozy, Supplement aux dictionnaires arabes 2ème édition, Leide, Brill, Paris, 1927.
4-Terrasse (H), Histoire Du Maroc, Dès Origines A Etablissement De Protectorat Français, Edition Atlantide, Casa Blanca.